مقدمة

الحمد لله رب العالمين،والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى اله وصحبه ،ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين ...وبعد

إن مشكلة التلوث البيئى ليست مشكلة جديدة أوطارئة بالنسبة لكوكب الارض وإنما الجديد فيها هو زيادة شدة التلوث كما وكيفا فى عصرنا الحاضر ،فالله تبارك وتعالى يقول فى كتابه الكريم "**إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ**"*اى بتقدير وحكمة ،وأيضا قوله تعالى "**وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا**"* .فالله خلق الارض بتوازن شديد الدقة يجعلها صالحة للحياة للانسان ولكل الكائنات الحية الأخرى .

فالبيئة بمكوناتها هى نعمة الله للإنسان وعليه أن يحصل على رزقه ويمارس علاقاته دون إتلاف وإفساد مصداقا لقوله تعالى "**كُلُواْ وَاشْرَبُواْ مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلاَ تَعْثَوْاْ فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ**"*، و موازين البيئة الطبيعية تتمثل فى قوله تعالى "**أَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ**"* فهذا التوازن الدقيق تحدث عنه القران فى عصر لم يكن هناك أى علم عن توازن البيئة .

ففى واقع الأمر إن بيئة الإنسان من الناحية الجغرافية والطبيعية تكون وحدة واحدة لا تتجزأ والعناصر التى تتكون منها كالهواء والماء والبحار والحياة النباتية والحيوانية يرتبط بعضها بالبعض الاخر وتتفاعل فيما بينها ، وبالمثل فالأجزاء التى تصيب البيئة لا تنحصر فى مكان حدوثها بل تتحرك وتصيب أماكن تبعد الاف الكيلومترات عن مصدر حدوثها [1].

وعندما تطورت وسائل الاستقرار البشرى وتزايدت فرص استغلال الموارد الطبيعية ،خلال اجتياز الإنسان عقبة التأقلم مع البيئة والانخراط فيها ،بدأت تظهر ببطء شديد انعكاسات تلك التدخلات غير المحدودة للإنسان فى مختلف البيئات الجغرافية واستغلاله الجائر لمواردها ،بالإضافة إلى حضوره البشرى الطاغى الذى لم يكن يستوعب بعد مسالة البيئة ،وذلك حتى ظهر التلوث بكافة أشكاله وأبعاده

---

*سورة القمر الاية ٤٩

*سورة الفرقان الاية ٢

*سورة البقرة الاية ٦٠

*سورة الحجر الاية ١٩

[1]- دكتور عبد العزيز مخيمر عبد الهادى ،تعليق على مجموعة المبادئ والقواعد القانونية لحماية البيئة من التلوث عبر الحدود ،المجلة المصرية للقانون الدولى ،المجلد الثالث والاربعون ١٩٨٧ ص٢٤٧

بعناصر المحيط الحيوى (الماء والهواء والتربة والنبات والحيوان والإنسان)،ومن ثم تراكمت اثار التلوث وأضراره بمختلف منظومات البيئة نتيجة تدخل غير مسئول للإنسان من أجل تعظيم احتياجاته.

وتلك المشكلات البيئية التى انتشرت وتفاقمت بمناطق كثيرة فى العالم ،والتى تختلف فى درجة حدتها باختلاف نوعية وخطورة الملوثات التى تستقبلها وأحجام وسرعة تراكمها ،مع الأخذ فى الاعتبار أن التلوث البيئى لا يعرف الحدود الجغرافية أو السياسية بين المناطق والدول ،وحيث إن القوانين الدولية والداخلية تولى عناية فائقة لسلامة البيئة التى يعيش فيها ،ومن ثم فإن هذه القوانين قد أنتجت حقا جديدا نسبيا للإنسان فى أن تكون البيئة التى يعيش فيها بيئة صحية صالحة .

وقد وردت تفصيلات واسعة لهذا الحق فى المواثيق والإعلانات الدولية الحديثة الصادرة عن الأمم المتحدة وعن منظمة الصحة العالمية ،وكذا الإعلانات العديدة التى صدرت فى المؤتمرات التى تعالج شئون الأرض والبيئة والصحة بشكل عام ، لذا نستطيع أن نؤكد من الوجهة القانونية إننا بصدد حق يسانده القانون للإنسان فى أن يعيش فى بيئة صحية مناسبة .

ولاشك فى أن البيئة تمثل أحد المجالات التى تتواجد فيها مصلحة مشتركة لدول العالم أجمع ،فهى تراث مشترك للإنسانية جمعاء يجب حمايتها وإلا ستصبح الحياة صعبة إن لم تكن مستحيلة فوق ربوع الكرة الأرضية[1]. فالعقود القليلة المقبلة تتسم بأهمية حاسمة بالنسبة لمستقبل البشرية فالضغوط التى يخضع لها هذا الكوكب لم يسبق لها مثيل وهى تتعاظم بمعدلات لا تعرفها التجربة الإنسانية من قبل [2].

ونظرا لما شهده العالم الحديث من تداعيات كثيرة وتدهور فى مستوى التوازن البيئى ،والاستخدام الواسع لعناصر الطاقة ،بل واستقدام عناصر طاقة جديدة ناتجة عن التفاعلات النووية كل هذا قد دفع المجتمع الدولى لوقفة تحذيرية من الاستخدام المفرط لعناصر الطاقة ،والإخلال الواضح بالبيئة الطبيعية ،"وقد بات من الضرورى وضع نظام قانونى عالمى لفرض قيود على العبث بالبيئة ،ووضع خطوات فعالة لإزالة التلوث الحالى بالبيئة وأى تلوثات مستقبلية "[3].

---

[1]- دكتور احمد ابو الوفا ،القانون الدولى للبحار ،درا النهضة العربية ،٢٠٠٦ ص ٤٧

[2]-راجعتقرير اللجنة المعنية بالبيئة والتنمية بعنوان "مستقبلنا المشترك "،وثائق الأمم المتحدة رقم A/42/4427 P 402

[3]- دكتور خالد مصطفى فهمى ،الجوانب القانونية لحماية البيئة من التلوث ،دراسة مقارنة ،دار الفكر الجامعى الاسكندرية ٢٠١١ ص ٥

وإزاء خطورة ظاهرة التلوث والمشاكل البيئية المترتبة على هذه الظاهرة بدأت جهود الدول تتزايد من أجل الحد من الممارسات الضارة والأنشطة المدمرة والتى تؤثر على البيئة بالسلب ،ومن ثم عكفت الدول على سن التشريعات اللازمة للمحافظة على البيئة وحمايتها من الأضرار الهائلة التى تلحق بها وتؤثر فيها وتعود عليها بخسائر جمة.

وتتفق الأراء اليوم على إنه ليس بالإمكان اعتبار البيئة قطاعا مستقلا ،فالبيئة هى المحيط الذى نحيا فيه وهى التى تمدنا بالموارد الضرورية لحياتنا جميعا ،ولا مراء فى أنه لو استمرت معدلات التلوث فى الهواء والبحر والبر على ما هى عليه ،ودون العمل الجاد على تقليل معدلات تلوثها ،فإن الإنسانية برمتها قد تتعرض للفناء .

مشكلة البحث

ضعف الحماية الدولية للبيئة

لقد استغلت البشرية ،عبر تاريخها الاقتصادى ،كل طريقة ممكنة لاستغلال موارد الأرض وتحويلها إلى ثروات وكانت النتيجة المترتبة على ذلك زيادة مطردة فى النمو السكانى و انتشاراً مستمراً فى الحيز الجغرافى الخاضع للاستغلال البشرى ،حتى أصبح كل شبر صالح للحياة على سطح الأرض مستغلا إلى أقصى درجة يسمح بها التطور التكنولوجى الحالى[١].فأدى تدخل الإنسان فى الكون الى إفساده ومن ثم إتلاف العديد من العناصر المكونة للبيئة التى يعيش فيها وهذا بدوره دفع الإنتباه إلى المخاطر الجسيمة التى تهدد البيئة الإنسانية.

فمشكلة حماية البيئة تتميز بأن لها افاقاً عالمية فهى لاتحدوها حدود معينة بسبب وجود تماسك شديد بين مختلف أجزاء الكرة الأرضية باعتبار أن التلوث هو بطبيعته عابر للحدود أى إنه يؤثر ويصيب كافة دول العالم ،ويكفى أن نذكر أن المواد الملوثة يمكن أن تنتقل من خلال مسافات بعيدة ،عبر البحار والأنهار والهواء[٢] .

ويقرر الدكتور مصطفى كمال طلبة –المدير التنفيذى لبرنامج الأمم المتحدة للبيئة – إن السيطرة على أنواع الملوثات الخطرة والبحث عن مصادر للطاقة أكيدة ووفيرة يمثلان مشكلتين من المشاكل العاجلة التى تواجه المجتمع الدولى[٣].

ولعل السيدة أنديرا غاندى رئيسة وزراء الهند الراحلة قد احسنت التعبير عن سبب عدم العناية بمكافحة التلوث فى البلاد الفقيرة حين قالت فى مؤتمر استكهولم عام ١٩٧٢"**كيف يمكننا أن نتحدث إلى أولئك الذين يعيشون فى قرى ومنازل هى أقرب الى الأكواخ ،عن ضرورة حماية الهواء**

---

[١]-كارن ابو الخير "البيئة قضية القرن الحادى والعشرين"مجلة السياسة الدولية العدد ١٧٩ يناير ٢٠١٠ المجلد ٤٥ ص٣٨

[٢]- دكتور صفى الدين مصطفى سلامة،الاحكام التكليفية فى قانون الامم ،دار النهضة العربية ٢٠٠٧ ص ٢٤٤

[٣]-دكتور مصطفى كمال طلبة ،الاخطار البيئية ومسئولية المجتمع الدولى ،مجلة السياسة الدولية العدد ١٦٣ المجلد ٤١ ٢٠٠٦ ص ٢٥

والمحيطات والأنهار فى حين أن حياتهم ذاتها فى الأصل موبوءة "إن البيئة لا يمكن تحسينها فى ظل الفقر[١].

ويقول أيضا ماهتير محمد رئيس وزراء ماليزيا "**إن الفقراء لا يطلبون صدقة من الأغنياء ،لأن هؤلاء الأغنياء عندما قضوا على الغابات التى يملكونها وأقاموا المصانع التى تسمم الجو ،وجابوا العالم للبحث عن موارد رخيصة ليحققوا الكسب فإن الفقراء لم يعترضوا ،بل إنهم فى الحقيقة قد دفعوا لينعم الأغنياء بالتنمية ،والمثير للدهشة أن الأغنياء يطالبون الان بالحق فى تنظيم معدلات التنمية للدول الفقيرة** " [٢].

فالعلاقة ما بين التدهور البيئى والفقر فى تشابك وثيق ، واكدت على ذلك ادريانا فابرا فى استعراض القضايا البيئية بندوة الخبراء المشتركة بين اليونيب ومفوضية حقوق الانسان فى جنيف ٢٠٠٢ بأن " **الفقر والتدهور البيئى يرتبطان معا فى دائرة مفرغة فيعزز بعضهما البعض ومن ثم فانتهاكات حقوق الانسان المتعلقة بالفقر سبب رئيسى فى المشاكل البيئية** " [٣].

---

[١]-دكتور ماجد راغب الحلو ،قانون حماية البيئة ،دار المطبوعات الجامعية ،١٩٩٥ ص٨

[٢]- راجع تقرير الامم المتحدة المعنى بالبيئة والتنمية،ريو دى جانيرو ٣-١٤ يونيو ١٩٩٢ المجلد الثالث

A/CON.151/26/REV.1(VOLIII),report of the united nation,P233

[3]- "Adriana Fabra, The Intersection of Human Rights and Environmental Issues: A Review of Institutional Development at International Level (Background Paper prepared for Joint UNEP-OHCHR Expert Seminar on Human Rights and the Environment, Geneva, 14-16 January 2002),"**poverty and environmental degradation are often bound together in a mutually reinforcing vicious cycle, and thushuman rights abuses related to poverty can be bothcause and effects of environmental problem"** see Emeka Polycarp Amechi , Linking Environmental Protection and Povertyreduction in Africa: An Analysis of the regionallegal responses to environmental protection ,LEAD Journal (Law, Environment and Development Journal), University of Londonand the International Environmental Law Research Centre (IELRC)VOLUME 6/2, 2010p114

ويقول السيد يوثانت- السكرتير العام للأمم المتحدة الأسبق:**"إننا جميعاً، شئنا أم أبينا، نسافر سوية.. على ظهر كوكب مشترك.. وليس لنا بديل معقول سوى أن نعمل جميعاً لنجعل منه بيئة نستطيع نحن وأطفالنا ان نعيش فيها حياة كاملة وآمنة "**[١].

فالتدهور البيئى المستمر فى العديد من دول العالم يثير الكثير من التساؤلات حول دور وفعالية القانون فى معالجة هذا التدهور بوصفه أداة للإدارة البيئية [٢] .فالارتباط جد وثيق بين الجانب القانونى لمشكلة تلوث البيئة والجوانب العلمية والواقعية لهذه المشكلة [٣].

ومازالت قواعد القانون الدولى- **التى تحكم مشكلة التلوث البيئى**- تفتقد إلى الجزاء الرادع وإلى السلطة الدولية المهيمنة حيث تاخذ معظم أعمال المؤتمرات الدولية شكل توصيات غير ملزمة للدول التى قد ترفض تنفيذها،ولا توجد قوة ملزمة حقيقية لهذه التوصيات وإن سميت تجاوزا قرارات فلا تزال الدول النووية تلوث البيئة وتجرى تجاربها فى البر والبحر ضاربة عرض الحائط بسلامة البيئة واتفاقيتها الدولية ،وقامت بعضها بتصدير نفاياتها الذرية الخطرة لدفنها فى أرض الدول الفقيرة مقابل مبالغ زهيدة ولم تستح من نقل مخلفاتها الخطرة على البيئة الى أرض دول العالم الثالث رغم تخلفها وعجزها عن مواجهة اثارها ،وذلك لحماية اقاليمها أو تهربا من إجراء الحماية اللازمة لديها وتحمل تكاليفها الكبيرة ورفض دول أخرى وضع قواعد لازمة لحماية بيئتها وإلزام تشريعاتها الصناعية بها حتى لا ترتفع أسعار منتجاتها فتكون أقل قدرة على منافسة منتجات الدول الأخرىالمماثلة [٤].

خلاصة القول إن النظام الدولى الحالى لم يقدم بعد الحلول القانونية الكافية لمواجهة مشكلة تلوث البيئة سواء فى مجال الأعراف الدولية التى يتنكر لها من يجدها تتعارض مع مصالحه ،أم فى مجالات الاتفاقات التى تتصف عملية تحويلها إلى قانون بالبطء وعدم التاكيد[٥].

---

[١]-دكتور كاظم المقدادى ،المشكلات البيئية المعاصرة فى العالم ،كلية الادارة والاقتصاد-قسم ادارة البيئة ،الاكاديمية العربية الفتوحة فى الدنمارك،٢٠٠٧ ص ٢

[2]-Lee Godden,climate change and public international environmental law,Melbourne Journal of International Law, Vol 10 ,2009 p١٥

[٣]- دكتور محمد سامى عبد الحميد ،القانون الدولى العام ،منشاة المعارف الاسكندرية ٢٠٠٤ هامش ص ٥٦٩

[٤]- دكتور ماجد الحلو قانون حماية البيئة فى ضوء الشريعة دار الجامعة الجديدة ٢٠٠٩ ص ٣٠،٣١

[5]-A.L Springer ,The international law of pollution 1983,p31

أهمية البحث

تعد البيئة من أهم نعم الله التى لا تعد ولا تحصى ،فاختص الإنسان بحمايتها والمحافظة عليها ،استفادة بثرواتها اللازمة لاستمرار الحياة على الكرة الأرضية .وإذا كان الإنسان ،بفضل التقدم العلمى والتقنى قد استطاع أن يتخلص من تبعيته للطبيعة ،فإنه قد تعدى ذلك وجاوز القدر المرجو والمطلوب باعتدائه على البيئة نفسها ،وحماية البيئة تقتضى حمايتها ضد أخطار التلوث الذى يهدد بأن يذهب بكل أنواع الحياة فيها ،وبان يهلك الحرث والنسل ويقضى على الأخضر واليابس[١].

فمفهوم البيئة واسع وشامل ومعقد إذ يبدأ بالفرد وينتهى به ،وان المحافظة على البيئة هى منأسمى الأهداف الإنسانية إذ أنها تعنى محافظة الإنسان على نفسه ومنع أى عمل قد يؤدى الى إحداث خلل فى حياته بصورة مباشرة أو غير مباشرة ،حيث يقال عادة بأن الإنسان هو ابن البيئة ووريثها الشرعى ولئن كانت البيئة تعنى الوسط الطبيعى أو المحيط الحيوى الذى يعيش فيه الإنسان أو باقى الكائنات الحية فإنها تمثل فى نفس الوقت ،إحدى المشكلات الإنسانية والاجتماعية الحديثة نسبيا ،فالمخاطر التى تحيط بها ومايشوبها من تهديدات اضحت نوعا من التحدى الذى يتعين على الإنسان أن يواجهه [٢].

"ولقدأضحى التلوث البيئى فى عالمنا اليوم ظاهرة خطيرة على حياة الكائنات ،وأصبحت حماية البيئة منه قضية بالغة الأهمية للإنسانية كافة .إلى درجة دفعت السيدة /كاترين لا لومبير السكرتير العام للجماعة الاوربية –إلى التاكيد على ان الدفاع عن البيئة يمثل التحدى الأكثر أهمية فى نهاية القرن العشرين "[٣].

فمن الضرورى –دائما-دراسة مختلف التحديات التى تواجه البيئة وهذا ما يقوم به القانون البيئى الدولى حيث يهدف دائما إلى التطلع للمستقبل وهذه الميزة التى ينفرد بها دون معظم القواعد القانونية الأخرى التى تميل دائما الى حفظ الوضع القائم ،فالقانون البيئى يركز دائما على المستقبل والبيئة دائما فى تغير مستمر[٤].

---

[١]-دكتور احمد ابو الوفا ،الحماية الدولية لحقوق الانسان ،دار النهضة العربية ٢٠٠٥ ص ٨٤

[٢]-دكتورة نبيلة عبد الحليم ، نحوقانون موحد للبيئة ،دراسة فى القانون المصرى المقارن ،دار النهضة العربية ١٩٩٣ ص١٥

[٣]-دكتور طارق ابراهيم ،الامن البيئى ،دارالجامعة الجديدة ٢٠٠٩ ص ٢١

[4]-Barice Severin pongui,les défis du droit international de l'environnement, Faculté de Droit, Université de Limoges, master 2006 P.6

تقسيم البحث

تم تقسيم هذا البحث إلى بابين يسبقهما فصل تمهيدى وذلك على النحو التالى :-

الفصل التمهيدى : مفهوم البيئةومظاهر التلوث البيئى

المبحث الأول: ماهية البيئة وتلوثها

المبحث الثانى: مظاهر التلوث البيئى

الباب الأول :الجهود الدولية لمواجهة التلوث البيئى

الفصل الأول:الجهود الدولية لمواجهة مظاهر التلوث البيئى

الفصل الثانى:الاثار المترتبة على الجهود الدولية لمواجهة التلوث البيئى

الباب الثانى :النظام القانونى للحماية الدولية للبيئة من التلوث

الفصل الاول : المسئولية الدولية عن أضرار التلوث البيئى

الفصل الثانى : الاطار القانونى الدولى لحماية البيئة من التلوث

منهج البحث

استخدم الباحث المنهج الوصفي ومنهج تحليل المضمون، وذلك في إطار وصف الوقائع وتحليل المبادئ القانونية الدولية ومعرفة مدى انطباقها على الوقائع ذات العلاقة.